التجربة الصوفية
في شعر صوفية القرن السادس الهجري

م .م. علي حسين جلود
قسم اللغة العربية - كلية التربية
جامعة ذي قار

تمهيد :

ظلت التجربة الصوفية الى حوالي ما بعد القرن السادس الهجري بقليل تجربة وجدانية خاصة تتفاوت من صوفي لآخر ،تبعاً لمفهومها لدى كل واحدٍ منهما ،وانطلاقاً من الاختلافات الناشئة في النفس الانسانية لدى الناس بصورة عامة، ومنهم الصوفية بصورة خاصة. فهي تجربة وجدانية داخلية تتباين لتباين البواعث التي تنطلق منها في نفس الصوفي .

من هذا الواقع جاءت تعريفات التجربة الصوفية متعددة،مختلفة ،كما تعددت تعريفات التصوف واختلفت ،الا انها في النهاية لا تجوز الجانب العاطفي وخلجات الروح إلا ماندر ، فقد ظلت الروح ، موضع عناية الصوفية واهتمامهم ، وكذلك ظل القلب ،لانه مصدر العاطفة والروح كما يعتقدون.

ولان اعتقاد الصوفي مطابق للواقع الذي يراه هو ، لا الذي يراه الاخرون، جاءت تجربته صادقةً في مدى انطباقها عليه من جانب ،وفي آحتوائها على العاطفة الجامحة التي اثبتت سيرورتها في الاديان والمذاهب كلها من جانب اخر ،ولاسيما اذا علمنا بانها عاطفة متجهة نحو محبوب مثالي تقصر دونه الاحبة، وتهفو اليه النفوس .

وما يلبث هذا الصدق ان يتحول - لثباته وديمومته- الى الفكر ،الذي يصعب التفريق، فيما بعد ،بينه وبين الفن ، للارتباط الوثيق بينهما ،فتكون التجربة الصوفية عندئذ :تجربة عاطفية فكرية فنية ، لاحتوائها على الخيال والرؤى والصدق العاطفي .ولمشابهة تجربة الفناء عند الصوفي تجربة الالهام عند الفنان ،ناهيك عن الصلة البينة بين الدين - رحم التصوف - والفن . نظراً لقيام كل منهما على العاطفة ، ولكونهما وجهين من وجوه النشاط الروحي .

ولم تقف الهجمات القوية التي شنت على الصوفية من قبل خصومهم حائلاً امام طريقهم المتجه وجهة تخالف من سواهم ،فقد حكم عليهم بالمبالغة في العاطفة حيناً، وبخروجهم عن الملة حيناً اخر ، غير انهم لم يبالوا بما قيل وما يقال. حتى اذا توقفت لديهم اللغة، وتجمدت فيهم القريحة، استعاروا الفاظ الغزل الانساني، قابعين خلفها بمعانٍ خاصة بهم ، ومنطلقين بها الى غايتهم النبيلة .

وإذ تأخذ العاطفة مأخذها من الصوفية ، فانها بلاشك تنطلق من روح الانسان لامن جسده،الامر الذي جعلهم يمجدون تلك الروح في أشعارهم بعد ان اهابوا فيها بدور العاطفة ، ليبقى الجسد مهملاً لديهم، يشكل عبئاً يثقل كاهل الروح فتزرح في داخله مكرهة، تتوق للخلاص منه ، لما فيهما من طبع اختلاف .فهومن جوهر ترابي ثقيل .وهي من جوهر نوراني خفيف .متى ما فارقته نالت السعادة، وعادت الى مكانها الصحيح .الذي انطلقت منه اول مرة ومن شعورها بغربة العشرة مع الجسد، وكراهية الصحبة له .يشعر الصوفي بوحشة العيش مع الناس .فيعتزلهم .ويربأ بنفسه عن اللذات التي تبعد الروح عن الحقيقة المثالية التي خلقت من اجلها .

التجربة الصوفية :

التجربة الصوفية تجربة ذاتية فردية .تحمل صاحبها على ان ينأى بعيداً عن العالم الخارجي ، ويانس بتخيلاته واحلامه ورؤاه ، من هنا فهي تجربة شعورية وجدانية تخفى عن الابصار ، وتعز على التحليل .

ولما كانت التجربة الصوفية كذلك صعب على الباحثين وضع تعريف جامع مانع لها .إذ كثرت التعريفات وتنوعت .ولعل اقربها الى الواقع هي التعريفات التي انطلقت من الصوفي نفسه .بحكم تجربته الداخلية التي لا يمكن الحكم عليها من الخارج .على ان ذلك القرب يبقى نسبياً بحكم التباين الواضح في تلك التعريفات الناشئ من الفروق الفردية التي تمتاز بها النفس الانسانية ((محل التجربة الصوفية)) .وبحكم ان التصوف ((إحساس في طبيعته صعوبة القابلية للتعريف))[١] .

بناءً على ما تقدم جاء كل تعريف للتجربة الصوفية معبراً عن تجربة صاحبه .ويبدو هذا الامر طبيعياً ، إذ ان الاستجابات تختلف من صوفي لآخر تبعاً لاختلاف المثيرات التي تؤثر في هذا الصوفي او ذاك .وبهذا الشأن صرح القشيري بقوله :((تكلم الناس في التصوف : ما معناه ؟ وفي الصوفي: من هو؟ فكل عبر بما وقع له))[٢] .

وبمرور الزمن تزايدت التعريفات وتعددت، حتى اذا وصلنا الى القرن السادس الهجري اصبحت ((حسب اقوال المشايخ ... تزيد على ألف قول)) [٣].

ولاختلاف التجربة بين صوفي وآخر ، ولكن التصوف قائماً اصلاً على الاعتقاد - اذ لا يمكن التثبت من دعوى الصوفي .والتيقن بها بصورة مطلقة من قبل الاخرين . ولانها ((دعوى مجردة من الدليل))[٤]، ومستعصية على الوصف والتحليل - لاقى مصطلح التجربة اعتراضاً من قبل النقاد لدى اضافته الى الصوفية[٥] .ولطبيعة التجربة وما يراد منها من نتائج علمية دقيقة ومحددة، مما لا يتحصل لدى الصوفي في طريقه الذي يتجه فيه الى غاية تحصيلها ((ليس مما يقع في نطاق العلم .او

الوصف بالالفاظ)) [٦] ،مع ان الوصف بالالفاظ ((لا يقصر عادةً عن وصف طريق السلوك الى هذا الهدف من أوله الى آخره))[٧].

ومهما يكن من امر فان مصطلح ((التجربة الصوفية)) اصبح كثير التداول بين دارسي الشعر الصوفي ،اذ لاتخلومنه معظم الدراسات الصوفية سواء التي تتعلق فيه بالجانب الديني والفكري او الجانب الادبي ،شعراً ونثراً ،ولا يتوقف الامر عند هذا الحد بل (ان دراسة الشعر الصوفي لا يمكن ان تؤتي ثمارها بمعزل عند دراسة ((التجربة الصوفية)) ذاتها ،وتحليلها وبيان جوهرها . مادامت هذه التجربة هي مصدر هذا الشعر من جهة ،وما دام هذا الشعر قد قصر نفسه على التعبير عنها من الجهة الاخرى)) [٨] .

من هنا نستطيع ان نتبين تجربة صوفية القرن السادس الهجري من خلال شعرهم الذي جاء ممثلاً لحياتهم اصدق تمثيل ، في تعبيره عن الصدق العاطفي، واللمسة الروحية ، اللذين يعدان بحق أهم سمات التجربة الصوفية في شعر صوفية ذلك العصر ، الذين كانوا متصوفة قبل ان يكونوا شعراء[٩] .وكانوا اصحاب عقيدة رسخت في نفوسهم قبل ان يقدموا على الاعلان عنها ((والجانب العملي من التصوف اسبق ظهوراً من الجانب الفلسفي، فالمتصوف يبدأ طريقه دائماً بالمجاهدة والرياضة))[١٠]، لذلك سموا اهل القلوب ((فالتصوف ليس نظريةً علمية . بل تجربة عملية لها ابعادها العرفانية)) [١١] .

وعاطفة الحب تشكل البعد الرئيس لدى الصوفي في رحلته المعرفية ، لذا ينبغي ان لا نستهين بدور العاطفة في هذا المجال ، إذ ان التجربة الصوفية تجربة عاطفية وان ((منطق العاطفة قد ينتهي بالخاضع له الى نتائج لها طرافتها وجدتها، وهما لا تقلان عن طرافة النتائج التي ينتهي اليها منطق العقل وجدتها))[١٢].ولايمكن ان نتلمس العاطفة في التصوف الاسلامي وحده فحسب ،بل ((ان التصوف في الاديان كلها يمثل الجانب العاطفي ، وهو جانب له خطورته في التجربة الصوفية))[١٣]. تجربة الحب التي ((لاتني تتسع حتى تضم العالم وتحضن الاديان بحيث تؤول جميعها الى دين واحد هو دين الحب))[١٤]، ولم تقف العاطفة عند هذا الحد .بل تتوغل في عمق هذا الدين الوجداني الواحد وتتسع ((حتى تضم النحل على اختلاف ما بينها من طقوس وشعائر وتصورات))[١٥] .

من هنا وقف الشعر الصوفي في هذا القرن على ((تسجيل ثورات الخواطر والنفوس تسجيلاً امينا)) [١٦] مثلما وقف في القرون السابقة ((على نقل معاناةٍ تأملية مجردة تجري داخل الذات))[١٧].وعندما نتكلم على صدقية هذا الشعر نستثني حالات الادعاء الصوفي الكاذب التي لاتصلح مقياساً لصدق التجربة الصوفية، وفي الوقت عينه ((لا تبرر شطب تجارب كبار الصوفية))[١٨] ، إذ لا تخلو ملة او نحلة من المدعين الكاذبين ((وقد كان بين الصوفية كثير من الزنادقة ،والمجان ،ومدمني الخمور فجروا قالة السوء على الاخوان الاطهار))[١٩] .

الكلام اذن على التجربة في التصوف الاسلامي الذي نشأ في أحضان الدين ،وغدً مرحلة متطورة للزهد الاسلامي .

الصدق العاطفي :

الصدق ضد الكذب ،وهو ((مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم))[٢٠] ، ولاشك ان اعتقاد الصوفي مطابق للواقع الذي يحياه مع نفسه، ذلك الواقع الضيق الخاص به ،والعالم الغريب الذي ابتناه دون مشورة احد وهو راضٍ عنه تمام الرضا ،ومؤمن به ايماناً اعتقادياً صادقاً ،لاخلاصه في التعبير عن تجربته الذاتية، وهذا ((يشبه ما نسميه الصدق الفني))[٢١] ، ولاريب في انه قبل ذلك صدق فكري ،لاسيما اذا عرفنا ان الصدق هو :((الانعكاس الصادق الصحيح للواقع في الفكر))[٢٢] وتجربة الصوفي في اعتقاده تعكس واقعه في فكره، فضلاً عن ذلك فقد((نشأ مفهوم الصدق اولاً في الفكر ثم انتقل الى الفن))[٢٣].

نستطيع القول ،اذن اننا لايمكن ان نفرق بين الصدق الفكري وبين الصدق الفني لدى الشعراء الصوفية ،ولايمكن ان ننكر الارتباط الوثيق بين الجانبين او ان نقطع الخيوط المتصلة بينهما، لتبقى التجربة الصوفية في النهاية تجربة فكرية فنية عاطفية لاحتوائها على الخيال والرؤى والصدق العاطفي ، ولمشابهة تجربة الفناء الصوفي تجربة الالهام في الفن ، فكلتاهما غير ارادية ، وغالباً ماتصحبهما حالات وجدانية عنيفة ، لذلك ((رمي الصوفية بانهم مرضى نفسيون، كما رمي بذلك كثير من الشعراء والفنانين، ولعل هذا الاتفاق مما يعقد بين التصوف والفن اواصر صلة في النفس الانسانية تقوم على التأمل الذي ينتهي بالفناء في موضوعه))[٢٤] ،والفناء في التصوف مظهر مبعثه العاطفة ((ويبدو التصوف من هذه الوجهة كالفن، لاوجود له بدون العاطفة الجامحة))[٢٥] ،هذا من جانب ومن جانب اخر ساعد اشتراك الصوفية والفنانين في النظرة الى الجمال على توثيق تلك الصلة بينهما إذ ان ((هيام الصوفية بالجمال لا يقل عن هيام الفنانين به ،وهم يتخذون من نظرهم الى الجمال عوناً لهم على مهمتهم من العبادة والمجاهدة))[٢٦] ، فضلاً عن الصلة المعروفة بين الدين والفن بصفة عامة ((فكلاهما لون من الوان النشاط الروحي، يقوم على العاطفة ويأبيان التقيد بقيود المنطق العقلي الضيقة))[٢٧] ، ولا يعني هذا فصل الفكر عن العاطفة في التجربة الصوفية لان ((دلالة الفكر يجب ان لا تنصرف الى معنى علمي محدد ،فالاسلام ارسى دعائمه على العلم والتفكير والتدبر))[٢٨]، ولولا ذلك ما ترك الغزالي حياته في بغداد ، واصفاً إياها بالضلال ،واعتكف في بيت المقدس لانقاذ نفسه من ذلك الضلال[٢٩] ،تاركاً كل شيء سوى بذور الحب التي غرسها في قلبه ، ذلك الحب الذي يبقى انيسه السرمدي الى ان يأذن الله باللقاء ،إذ يقول :

غرست الحب غرساً في فؤادي　　فلا يسلو الى يوم التلاقِ

وما في الدهر اشقى من محبٍّ　　وان وجد الهوى حلو المذاقِ

فيبكي إن نأى شوقاً إليهم　　ويبكي إن دنا خوف الفراق[٣٠] .

ويبدو ان مبالغة الصوفية في عواطفهم هي التي ألبت عليهم الاعداء وجرت عليهم الويلات من قبل الفقهاء الذين اصبح الدين عندهم ،في نظر الصوفية ((رسوماً واوضاعاً لا حياة ولا روحانية فيها)) [٣١] ،وعلى النقيض من ذلك ظل الشوق والوجد والهيام دليلاً على اصالة التوجه الصوفي في العروج نحو الهدف المنشود[٣٢] ،وهذا ابو البركات الانباري يقول:

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني　　وأرقتني احزان وأوجاع

وصار كلي قلوباً فيك داميةً　　للسقم فيها وللالام اسراع

فان نطقت فكلي فيك ألسنة　　وإن سمعت فكلي فيك أسماعُ[٣٣]

على ان تلك الحال لدى الصوفي مقرونة بتهذيب نفسه ،وتخليصها من شوائب الدنيا ((فاذا طهرت نفس السالك من الخبائث وحصل له تصريف من الله تعالى كانت جوارحه كلها فعالة)) [٣٤] ، الى الحد الذي تنوب فيه بعض جوارحه عن بعضها الاخر ((فيسمع بعينيه ، وينظر باذنيه)) [٣٥] .

واذا اتفقت جوارح الصوفي كلها على شيء واحد فهو البكاء الذي طبعت به اغلب اشعارهم معبرين به عن صدق العاطفة ،كما في قول ابن الكيزاني :

ولئن بكتْ عيني عليك صبابةً　　فلكل جارحةٍ عليك نحيب[٣٦]

واذا اشترك الزهاد والصوفية بالبكاء،فانهم يختلفون في السبب ،فالاولون يبكون خوفاً من الذنب والثانون يبكون من شدة الحب ،الذي لا ينفع معه كتمان ،فالعين تفضحهم ،وتشيع ما يسرون ، كما يقول السيد الرفاعي :

كتم الغرام فزاده كتمانه　　وطوى الهوى فاشاعه اجفانه[٣٧]

والحب الراكز هو الذي يحول النحيب الى نوح دائم ،لعله يشفي الصوفي من ازمته التي ترافقه دائماً ،او على الاقل من بعضها ،وما من احدٍ يسمع لواعج السيد الرفاعي ولا يشعر بازمته ومحنته ، فهو سمير الليل الطويل ،الذي يرسف بالاغلال محاكياً الحمام في نوحه بقوله :

إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم　　أنوح كما ناح الحمام المطوق

وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى　　وتحتي بحار بالاسى تتدفق

سلوا أم عمرو كيف بات اسيرها　　تفك الاسارى دونه وهو موثق

فلا هو مقتول ،ففي القتل راحةٌ　　ولا هو ممنون عليه ، فيعتق[٣٨]

وام عمرو اسم يرمز به الصوفية الى الذات العلية ،مثلما يرمزون لها بسلمى وليلى ، وهذه الاسماء مشتركات رمزية تعاقب على ذكرها شعراء الغزل العذريون كذلك وهي ((رمز أومأت به المتصوفة الى الحقيقة الكبرى والذات الالهية والى معنى الوجود وغايته)) (٣٩) .

والقتل الذي يتمناه الشاعر الصوفي او العتق في المقطوعة السابقة يشيران الى تجربة الصوفي في رحلته الى الفناء، ففي كل منهما تخلص للروح وانطلاقها الى العالم العلوي ،لان الصوفي يشعر دائماً بان الجسد طوق يحجب الروح عن الاتصال بعالمها الملكوتي ذي الانوار القدسية ، ولعلنا لا نتمحّل اذا فهمنا بان السيد الرفاعي في ذكره للفظة ((الحمام المطوق)) قد اشار الى ذلك الامر .

خلاصة القول : ان التجربة الصوفية ،تجربة فكرية حلمية تقوم على العاطفة الصادقة تجاه الحبيب ، وفنية الهامية تنطلق من العمق الوجداني ، ورمزية يستعير فيها الشعراء بعض الفاظ الغزل الانساني .

اللمسة الروحية :

ينظر الصوفي الى الانسان على انه قيمة عليا ، فيسمو به فوق الواقع - الذي يراه ناقصاً(٤٠)- حتى يعده في مصاف الملائكة ،بل يذهب به الى ابعد من ذلك حين يفضله عليهم، اذ ((ان الصوفية تتفق جميعاً على تمجيد الانسان ، واعتباره افضل مخلوقات الله جميعاً ، صورةً ومضموناً)) (٤١) .

ومما لاشك فيه ان المقصود بالانسان ذي القيمة العليا في نظر الصوفية هو الصوفي دون سواه ،يوضح ذلك قول الغزالي:((اني علمت يقيناً ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وان سيرتهم احسن السير ، وطريقهم اصوب الطرق،واخلاقهم ازكى الاخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم، واخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ،لم يجدوا اليه سبيلاً ،وان جميع حركاتهم، وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوّة، وليس وراء نور النبوة على وجه الارض ،نور يستضاء به)) (٤٢) .

وعندهم ان الصوفي هو المعني بقوله تعالى:((فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) (٤٣) .

مما تقدم يتبين لنا ان نظرة الصوفية تتجه الى حقيقة الانسان الروحية ، ودرجة قربه من الله تعالى،لا الى شكله الخارجي ،ذلك ان ((الانسانية لو كانت بالصورة الخارجية لتساوى محمد وابو جهل)) (٤٤) .

لا غرابة في الامر اذا اهمل الصوفية الجسد واهانوه، واهتموا بالروح ، التي تنزل الانسان منزلة عالية ،صار بفضلها ((الكون الجامع الذي ظهرت فيه حقائق الوجود)) (٤٥) .

والجوهر الذي سخر الله (تعالى) له الاشياء كلها في الحياة ،كما يقول الغزالي :

ألم تراني منتهى قصد مبدعي ولم تبدع الاشياء الا لخدمتي

وان لاكرامي وتعظيم حرمتي أشار الى الافلاك نحوي بسجدة

وصير ما في عالم الكون كلهِ بحكم إراداتي وطوع مشيئتي(٤٦)

هكذا مجّد الصوفية الانسان في اصله الالهي،وفي كونه مجلىً لظهور الحق، ومستودعاً يودع فيه الله (تعالى)الاسرار العرفانية ،والانوار الالهية ،والصوفية – مثل الانبياء، هم صفوة البشر ، لانهم اقرب الى جوهر البشرية الاجمل ومعدنها الصافي النقي(٤٧) ، وادراك الصوفي هذه الحقيقة امر مهم،لانه يحمل الشرارة الاولى لانطلاقه في طريق الحقيقة المحفوف بالمخاطر والعقبات، ولعل اول العقبات هي تلك التي يفرضها الجيسد بصفاته البهيمية الثقيلة على الروح، مما يكدر صفوها ويخلق فيها شعوراً غريباً، ينتهي بالتشوق الى الموت خلاصاً لها من كلّ تعلّق بالمادة.

ومن الواضح ان الروح هي مصدر الخلق والابداع اللذين خلق الله من اجلهما الانسان، وامر الملائكة بالسجود له حين نفخ فيه الروح ،فهي والجسم، إذن جوهران متباينان، وعالمان مختلفان : عالم منير شفاف ،وعالم مظلم كثيف، يشير اليه الغزالي مخاطباً الصوفي :

فانك من نور مضيء وظلمةٍ بما فيك من جسم ونفس نفيسة

تسوس الحياة الجسم وهي مسوسةٌ بما فيك من أسرار علمٍ مصونة(٤٨)

ولما كانت الروح بطبيعتها جوهراً مبايناً لجوهر الجسم ،كرهت البقاء فيه، ذلك ان ((اتصالها بالجسم المنافر لطبيعتها يورثها خسة المقام ويحوجها الى مجاورة البدن المتحلل الفاني))(٤٩) ،وكان من اولى بوادر هذا الاحساس الذى لدى الصوفي ان افرط في قهر الجسد واذلاله، وابعده عن وسائل الراحة والتأهل، ونأى به بعيداً دونما حذر من صعوبة ،او خوف من خطر حتى لو نهشته السباع(٥٠). معتبراً هذا الفعل الخطوة الاولى في سلم تدرجه الروحي ، والمفضي الى غايته المنشودة وعزلة الصوفي في ظل ظروف قاسية خير دليل على محاربة الجسد واصلاح شأن الروح ، فهذه العزلة ((لا يشعر الصوفي بغربة الوطن،ولا يحس بوحشة المسكن ما دام على صلةٍ بالمحبوب))(٥١) ، مثلما مكث الشيخ عبد القادر الجيلاني ((خمساً وعشرين سنة،متجرداً ،سائحاً ،في بوادي العراق وخرابه)) (٥٢) يشجيه الحمام ويحكيه الغمام إذ يقول :

أنوح فتشجيني حمام سواجع وأبكى فتحكيني غمام هوامع

ولي إن عوى ذئب على فقد إلفه زفير له في الخافقين ضرائع(٥٣)

ولعلنا في هذا المقام نتذكر موقف الغزالي ببغداد حين ترك النظامية ،مع ما فيها من مؤهلات سنية ،وساح في البرية ،معتبراً اياها الوطن الروحي للانسان الذي يلتقي فيه بمن يحب ،فهو يقول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدتُ الى تصحيح أول منزل

ونادت بي الاشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فأنزل(٥٤)

اما أهله وناسه فيشعر معهم بوحشتين : وحشة العيش معهم ،ووحشة البعد عن الحبيب ، الذي يأنس بقربه بقوله :

توحشت من ابناء نوعي ولم تكن لشيء سوى أنسي بقربك وحشتي

تغربت عن اهلي إليك وإنني لتعذب لي في طيب أنسك غربتي(٥٥)

لم يضق الصوفي بالحياة ذرعاً لو لم يكن يحمل بين جنبيه روحاً تتوق دائماً الى عالمها الفسيح المتلالئ بالانوار القدسية ،مسرعة لتلبية نداء ربها الذي يناديها ليل نهار : ((ارجعي الى ربك راضيةً مرضيةً))(٥٦) ،وحقيقة الرجوع التي أشارت اليها الآية الكريمة اطربت الصوفية واستأنسوا بها كثيراً ،واتخذوا منها دعوةً للتنفير من الدنيا ،والالتحاق بعالم القدس ،كما يقول السهروردي المقتول :

خليلي إن الانس في فرقة الانس فكن أبداً ما عشت في حضرة القدس

تعيش بلا موتٍ وتبقى بلا فنا وتلحق بالمعنى وتنأى عن الحس

وتغبطك الافلاك فيما اتيته ويشرق نور فيك من نائر الشمس

فأنت هو المعنى وفيك وجوده وفيك جميع الخلق والعرش والكرسي(٥٧)

يشعر الصوفي دائماً ان تعلق الروح بالجسم وانغماسها في اللذات يبعدها عن الحقيقة المثالية التي خلقت من اجلها ، لذا فالخلاص من ذلك التعلق هو في مفارقتها الجسم ،والفراغ منه ومن آفاته حتى تتكشف عنها الحجب ، وانكشاف الحجب عن الروح لا تحصل لها إلا بالنوم او الموت لانها مطوقة بالجسم ،مثل عصفور في قفص ،ومثلما يحاول الطير جاهداً ان يخرج من القفص ، تبحث هي عن لحظة الخلاص مخلفةً وراءها الجسم الذي ارتهنت فيه زمناً طويلاً،فهي تقول على لسان السهروردي المقتول :

أنا عصفور وهذا قفصي كان سجني وقميصي زمنا(٥٨)

ملخص القول : التجربة الصوفية ،تجربة عاطفية فنية تختلف من صوفي لآخر ،وتأخذ العاطفة الصادقة فيها سمة الشمول والاستغراق ،حتى تتجلى فيها الروح بأبهى صورها .

الهوامش .

١. التصوف في الشعر العربي ، د.عبدالحكيم حسان :١٩ .

٢. الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري :٢ /٥٥١ .

٣. عوارف المعارف ، السهروردي : ٥٧.

٤. الاحكام في اصول الاحكام ، ابن حزم : ١ /١٧ .

٥. ينظر : نقد المعرفة عند المتصوفة ، ناجي حسين جودة: ١٨٤ – ١٩٠ ، (رسالة ماجستير) .

٦. في التصوف الاسلامي وتاريخه ، نيكلسون :٩٧ .

٧. م. ن. والصفحة .

٨. الشعر الصوفي حتى افول مدرسة بغداد وظهور الغزالي . د. عدنان حسين العوادي : ٢٢٣ .

٩. ينظر : الشعر الصوفي في القرن السادس الهجري .علي حسين جلود : ١٠٧ ، ١٢٣ (رسالة ماجستير).

١٠. التصوف في الشعر العربي :١٩ .١١. بنية السرد في القصص الصوفي ، د. ناهضة ستار :٣٧ .

١١. بنية السرد في القصص الصوفي ، د. ناهضة ستار : ٣٧ .

١٢. ابن الفارض والحب الالهي ،د. محمد مصطفى حلمي : المقدمة ، ص ي .

١٣. الرمز الشعري عند الصوفية ، د. عاطف جودة نصر : ٥٠١ .

١٤. م. ن : ٤٩٥ .

١٥. م .ن :٤٩٤ .

١٦. التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ، د. زكي مبارك : ١ /٨٨ .

١٧. الشعر الصوفي حتى افول مدرسة بغداد وظهور الغزالي :٢٢٧ .

١٨. نقد المعرفة عند المتصوفة :١٤٣ .

١٩. الصوفية في الاسلام ، نيكلسون :١٠٢ .

٢٠. المعجم الفلسفي،جميل صليبا : ١ /٧٢٣ .

٢١. الاتجاهات الفلسفية في النقد الادبي عند العرب في العصر العباسي . د. عدنان سعيد المحنّة :١٥٩ ، (رسالة ماجستير).

٢٢. الموسوعة الفلسفية ، مجموعة مؤلفين :٢٧٢ .

٢٣. الاتجاهات الفلسفية : ١٥٦ .

٢٤. التصوف في الشعر العربي :٧٣ – ٧٤ .

٢٥. التصوف – الثورة الروحية في الاسلام ، د. ابو العلا عفيفي: ٢٠ .

٢٦. التصوف في الشعر العربي :٧٤ .

٢٧. م . ن :٧٦ .

٢٨. بنية السرد في القصص الصوفي : ٢٩ .

٢٩. ينظر : المنقذ من الضلال ، الغزالي ، وفيه تاريخ تلك الحقبة من حياته .

٣٠. الشعر في تراث الغزالي ، د. جلال شوقي ، ضمن كتاب ((الامام الغزالي، الذكرى المئوية التاسعة لوفاته)):١٨٨ .

٣١. في تراثنا العربي الاسلامي ، توفيق الطويل :١٨٤ .

٣٢. ينظر : بنية السرد في القصص الصوفي :٣٦ .

٣٣. بغية الوعاة ، السيوطي : ٢ /٨٨ .

٣٤. لطائف المنن والاخلاق ، عبد الوهاب الشعراني:٢ /٢ .

٣٥. م. ن والصفحة .

٣٦. خريدة القصر وجريدة العصر ،العماد الاصفهاني (شعراء مصر) :٢ /٣٣.

٣٧. المجالس الرفاعية ، احمد الرفاعي :١٤٤ .

٣٨. طبقات الشافعية ، الاسنوي :٥٩٠ .

٣٩. لامية المرتضى الشهرزوري، د.عبد الوهاب العدواني (بحث) في مجلة آداب الرافدين : ٤٨٤ .

٤٠. ينظر : الشعر الصوفي حتى افول مدرسة بغداد :٢٦ .

٤١. مقدمات في الشعر الصوفي ، طراد الكبيسي : ٢٠٢ .

٤٢. المنقذ من الضلال :٤٥ .

٤٣. الحجر :٢٩ .

٤٤. مقدمات في الشعر الصوفي :٢٠٣ .

٤٥. فصوص الحكم ، ابن عربي :٢ /٧ .

٤٦. معارج القدس ، الغزالي :١٦٩ .

٤٧. ينظر : اتجاهات انسانية في شعر الصوفية ، د. محمد عبدالسلام كفافي : ١٧ –١٨ .

٤٨. معارج القدس :١٦٣ .

٤٩. فلاسفة الاسلام ، د. فتح الله خليف :١٦٥ .

٥٠. ينظر : الرسالة القشيرية : ١ / ٩٧ .

٥١. معالم الفكر العربي ،د. كمال اليازجي : ٢٧٧ .

٥٢. نشر المحاسن الغالية ، اليافعي :٢٧٨ .

٥٣. فتوح الغيب ، عبد القادر الجيلاني : ٢١٤ .

٥٤. شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي : ٤ /١٣ .

٥٥. معارج القدس : ١٧٠ .

٥٦. الفجر : ٢٨ .

٥٧. ديوانه (مخطوط) :النص ١٣ .

٥٨. م. ن : النص / ٧ ، ٢٥ .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

١. ابن الفارض والحب الالهي. محمد مصطفى حلمي. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٤٥م .

٢. آداب الرافدين (مجلة) ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ع ٧ ، ط٢ ، ١٥ تشرين الاول ١٩٧٦م ، ٢١ شوال ١٣٩٦هـ.

٣. اتجاهات انسانية في شعر الصوفية . د. محمد عبد السلام كفافي . مطابع المصري ، بيروت ، ١٩٦٢م .

٤. الاتجاهات الفلسفية في النقد الادبي عند العرب في العصر العباسي . د. عدنان سعيد المحنّة، رسالة ماجستير ،كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣م .

٥. الاحكام في اصول الاحكام . ابن جزم ،مطبعة العاصمة ، القاهرة، د. ت.

٦. الامام الغزالي . الذكرى المئوية التاسعة لوفاته (بحوث ومقالات) ،باقلام نخبة من اعضاء هيئة التدريس بجامعة قطر ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . السيوطي ، تح : محمد ابي الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م .

٨. بنية السرد في القصص الصوفي: المكونات والوظائف والتقنيات . د. ناهضة ستار ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،٢٠٠٣م .

٩. التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق . د. زكي مبارك ، مطبعة الاعتماد، مصر ،ط١ ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

١٠. التصوف- الثورة الروحية في الاسلام. د. ابو العلا عفيفي، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٩٦٣م .

١١. التصوف في الشعر العربي ،نشأته وتطوره حتى اخر القرن الثالث الهجري. د.عبدالحكيم حسان، مكتبة الاداب ،القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢. خريدة القصر وجريدة العصر .عماد الدين الاصفهاني ، (قسم شعراء مصر) ، نشرة : احمد امين ، شوقي ضيف ،احسان عباس ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

١٣. ديوان السهروردي المقتول (مخطوط) ، صنعه وحرره وقدم له : د. كامل مصطفى الشيبي .

١٤. الرسالة القشيرية .عبد الكريم القشيري ،تح : د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، مطبعة دار السعادة بمصر ،ط١ ،١٣٨٥هـ - ١٩٦٦ م .

١٥. الرمز الشعري عند الصوفية. د.عاطف جودة نصر ،دار الاندلس ، دار الكندي ،بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م .

١٦. شذرات الذهب في اخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي .دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د. ت .

١٧. الشعر الصوفي حتى افول مدرسة بغداد وظهور الغزالي. د. العوادي ، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

١٨. الشعر الصوفي في القرن السادس الهجري .علي حسين جلود، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة القادسية ،٢٠٠٢م .

١٩. الصوفية في الاسلام . نيكلسون ، ترجمة وتعليق : نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٧١هـ – ١٩٥١م .

٢٠. طبقات الشافعية، الاسنوي ،تح : عبد الله الجبوري ،مطبعة الارشاد ، بغداد ،١٣٩٠هـ .

٢١. عوارف المعارف . عمر السهروردي ، مصر ، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م .

٢٢. فتوح الغيب .الشيخ عبد القادر الجيلاني .مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر ، ط١ ، ١٩٦٠م .

٢٣. فصوص الحكم .ابن عربي ، تحقيق وشرح د. ابي العلا عفيفي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٩٤٦م .

٢٤. فلاسفة الاسلام .ابن سينا ، الغزالي ، الرازي ، د. فتح الله خلف ، دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ،١٩٧٦م .

٢٥. في تراثنا العربي الاسلامي .توفيق الطويل ، عالم المعرفة ، ١٩٨٥م .

٢٦. في التصوف الاسلامي وتاريخي . رينولد نيكلسون . ترجمة د. ابي العلا عفيفي ،مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٢٧. لطائف المنن والاخلاق .عبد الوهاب الشعراني .مطبعة عبد الحميد احمد حنفي ، مصر ، د. ت.

٢٨. المجالس الرفاعية .السيد احمد الرفاعي ، تح : محمود السامرائي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧١م .

٢٩. معارج القدس في مدارج معرفة النفس . الغزالي ، مطبعة الاستقامة، القاهرة ،د. ت .

٣٠. معالم الفكر العربي . د. كمال اليازجي ،دار العلم للملايين ، بيروت ، د. ت.

٣١. المعجم الفلسفي . جميل صليبا ،دارالكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٣٢. مقدمات في الشعر ... الصوفي . طراد الكبيسي ،مطبعة الجمهورية ، بغداد ، ١٧١م .

٣٣. المنقذ من الضلال . الامام الغزالي ، تحقيق وتقديم : جميل ابراهيم حبيب، دار القادسية للطباعة ، بغداد ، د. ت.

٣٤. الموسوعة الفلسفية ، مجموعة مؤلفين .

٣٥. نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية اصحاب المقامات العالية ، اليافعي ، تحقيق وتصحيح : ابراهيم عطوة عوض ،مصطفى البابي الحلبي ،مصر، ١٣٨١م .

٣٦. نقد المعرفة عند المتصوفة . ناجي حسين جودة، ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .